المحاضرة الثانية: وسائل الاعلام والفضاء العمومي

وسائل الاعلام والفضاء العمومي:

تلعب وسائل الإعلام دوراً مهماً في إثارة الجدل والنقاش حول القضايا المجتمعية والسياسية. وفي السابق كانت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة تتبع لرقابة الدولة بشكل كبير. ورغم التطور الكبير في وسائل الإعلام إلا أن هذا النوع ما زال مؤطراً سياسياً، ويبث مواد ومعلومات تخدم طرفاً معيناً على حساب أطراف أخرى لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية من خلال تضليل الرأي العام.
مع ظهور الإعلام الاجتماعي وزيادة مساحة الفضاء العام والتغلب على عنصر مراقبة الدولة على وسائل الإعلام التقليدية، أصبح الإعلام يلعب دوراً إيجابياً في دعم وتأطير الرأي العام وإثراء الجدل السياسي والاجتماعي في المجتمع. ويؤدي استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي إلى الحث على مبادئ الحكم الصالح والرشيد في المؤسسات العامة واستبعاد تفكيرها الفئوي والمصلحي (المحسوبية والفوضى والفساد) والابتعاد عن الطبقية.

ففي إطار المقاربات السوسيولوجية النقدية لوسائل الاعلام ومن خلال **مقاربة بورديو** نفسها لهذه الوسائل، فقد كرس اهتماما كبيرا لكشف وسبر أغوار ما تخفيه هذه الوسائل من سيطرة وعنف رمزي وتبعية المثقفين لها بشكل خاص، خاصة من خلال الدور الخطير الذي تلعبه هذه الوسائط في تكريس الأوضاع والمصالح السائدة وفي التفريغ السياسي ولعل مثال التسلط للمذيعين نموذج لذلك.
فأهمية الصحفيين، حسب بورديو، ترجع بالأساس إلى واقع أنهم يمتلكون احتكار الحديث المفروض على أدوات إنتاج المعلومات الواسعة الانتشار وتوزيعها داخل المجال الاجتماعي ومن خلال هذه الأدوات، فإنهم يحتكرون إمكانات الوصول إلى المواطنين ذو وعي ثقافي بسيط واحتكار إدخال منتجين آخرين للثقافة من علماء، وفنانين...إلخ، إلى ما يسمى أحيانا المجال العام.
إنّ وظيفة الإعلام العمومي، في مجتمع ديمقراطي وفي ظل دولة القانون، هي ضمان تدفّق المعلومات مع اعتماد آليات تضمن هذا التدفّق بشكل حرّ ونزيه، ويفترض أن تتّسم وسائل الإعلام في هذا الظرف بالحيادية والموضوعية والمصداقية التي تتيح تعدّدية فكرية واجتماعية ترقى بالإعلام إلى بلورة مفهوم الفضاء العمومي .

وبإسقاط نفس المعايير التي حددها هابرماس في نظريته على الفضاء الثالث من أجل بناء مجتمع ديمقراطي، تكون فيه المعلومات سريعة الانتشار بحيث يأخذ الفضاء الثالث دوراً وحيزاً وربما أكثر من الفضاء العام، وهذه **المعايير** هي:

1/ **المنزلة الاجتماعية** :في الفضاء الثالث يتم التغاضي عن المكانة والمنزلة الاجتماعية لأي شخص. يأتي ذلك لعدم الرغبة في التأثير على تلك المنزلة أو الوضعية بين الناس، ويتم التعبير عن كافة الآراء بشكل حر وكامل دون مراعاة وتأثير لرأي المشاركين وهنا يتحقق مبدأ المساواة.

2/ **سلطة التفسير :**تعتبر سلطة التفسير من أهم السلطات في المجتمعات الديمقراطية، ومن يمتلكها هو المواطن العادي وليس الدولة أو المؤسسة الدينية كما أوروبا في العصور الوسطى. وفي العالم الإسلامي ما زالت السلطة الدينية والدولة هي التي تمتلك سلطة التفسير، ولذلك فإنه في الفضاء الثالث تتداخل سلطة التفسير بين المواطن العادي والسلطة الدينية أو الدولة. ويعتبر هذا المعيار أحد المعايير التي يتصارع المواطن والدولة عليه.

3/ **الشمولية :**لا يمكن استثناء أي فرد أو مواطن من المشاركة في الجدل السياسي. وكما ساعد الإعلام التقليدي على تشكيل الرأي العام، يعمل الإعلام الاجتماعي على صناعة القضايا وتشكيل رأي عام حولها، بل وسهل من ذلك سهولة وصول الفرد إلى مساحته الخاصة في أدوات الإعلام الاجتماعي من خلال الهواتف النقالة الملازمة للفرد طوال الوقت، أدت الشمولية إلى العودة إلى مفهوم الفضاء العام لهابرماس وتوفير غطاء لنظريته التي درس فيها طبقة واحدة فقط من البرجوازيين الأوربيين.

وبدراسة يورجن هابرماس ونظريه الفضاء العام يستطيع الباحثون فهم وسائل الإعلام الاجتماعي الجديد بشكل عميق وسيوضح الأثر الكبير لهذه الأدوات على المجتمعات.

إلاّ أنّ نموذج "هابرماس" عن المجال العامّ والديمقراطية التشاركية لا يمكن أن يسقط إسقاطا على الممارسة الإعلامية العربية، فهذا النموذج ظهر في بيئة سياسية وثقافية مختلفة عن البيئة العربية، أي في مناخ سياسي واجتماعي جاهز فكريا لممارسة وتطبيق الديمقراطية القائمة على النقاش العقلاني ، والرأي العامّ العربي الذي نشأ في بيئة استبدادية تقمع الرأي المعارض والمخالف والذي تعاني نسبة كبيرة منه من الأميّة وانتشار التخلف والتأخر في شتى مجالات الحياة ، والتي لم تستطع تجاوز مخلفات الماضي وممارساته وتواكب التطور، وهذه المجتمعات غير جاهزة بعد لمثل هذا النقاش العقلاني الهابرماسي.

فالفعل التواصلي حسب "أندريه أكون" لا يمكن أن يكون ذاته في كلّ المجتمعات فهو فعل غير متعال عن السياق الثقافي والاجتماعي وليس مجرّدا عن الواقع وعن خصوصيات الفضاء العمومي الحاضن له.

لذلك فالنقاش العقلاني وحرية الاعلام لا يمكن ان تتجلى خارج السياقات الثقافية والاجتماعية التي تحكم هذه المجتمعات .....

قائمة المراجع :

- جيهان نجيب: "تزييف الرأي العام داخل الفضاء العمومي عند السوسيولوجي بيير بورديو "

https://m.annabaa.org/arabic/authorsarticles/18083 2019-01-28

- Akoun André، De la communication، in NAQD ? n°8-9 ،Algérie, 1995.